

ترسيخ مفهوم الوحدة الوطنية



قال الله سبحانه وتعالى في سورة الحجّ: (وَاعْتَصِمُوا بِرَبِّكُمْ وَلَا تَنْسِيْعَةَ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاداً فَأَلْفَافَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنَعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَاتِ حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَرْقَدْتُكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيَّنُ إِلَّا لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهُدُونَ) (آل عمران/103). إن الاختلاف والتنوع في الشكل والفكر والعلم، حقيقة إلهية يجب احترامها وتقبيلها في المجتمع الواحد، والآيات والأحاديث النبوية الشريفة كثيرة التي تؤكد على اختلاف البشر والشعوب والأمم كذلك، وهذه الحقيقة اقتضت التألف والتراحم بين الأفراد في نطاق المجتمع الواحد وبين الشعوب والأمم دفعاً لأسباب التناحر والخلاف التي تفضي إلى التحارب والاقتتال، من هنا كان الاهتمام الرباني له دلالاته الكثيرة وعبره الكبيرة، أولها الحفاظ على سلام المجتمع كلّه من الانحرافات والأخطار التي تحدق به من حين إلى آخر، فيكون هذا التماسك مثالاً بالنسبة له طوق نجا.

في أي مجتمع تتعدد الالتماءات والولاءات، لكنّ لابدّ من قاسم مشترك يجمع تلك الالتماءات، ليتقدّم عليها الالتماء والولاء للوطن.. فالوحدة الوطنية هو ذلك المفهوم الكبير الذي يحمل كلّ صفات المواطن الصالح لبلده ومجتمعه، فهي المدخل الذي تتطوّر منه الأمة حيث يجب أن يكون جميع أفراد المجتمع يداً واحدة. وتطبيق هذا المفهوم يكون من خلال توجيه المواطنين وغرس الوطنية ومصلحة الوطن بهم منذ الصغر، وتنبيه المجتمع دائمًا بأنّ الوحدة الوطنية هي أساس كلّ شيء وهي التي تقوى الأمة وتطوّرها.

ومن أكثر العوامل التي تؤدي إلى زيادة تماسك المجتمع واستقراره، هو تحقيق وحدته ونسيجه الاجتماعي هو تقييد كلّ فرد فيه للآخر المختلف معه في أي رأي كان أو في أسلوب الحياة، أو بعض الأفكار، طالما أنّ هذا الاختلاف محصور في إطار التنوع داخل وحدة المجتمع ذاته؛ لأنّ الاختلاف هو سُمة في الكون والبشر، وهو اختلاف يُشري الحياة ولا يضرها؛ ولأنّه يعيّر كذلك عن التنوع في الأفكار، وبها نكتسب مجالات كثيرة متنوعة مفيدة. إنّ الوحدة المجتمعية (الوطنية) لا توفر للمجتمع القدرة على تحقيق نمو مضطرب فحسب، بل هي تكسبه المناعة ضدّ الأخطار الخارجية التي تترىض به، وتحين الفرص

للانقضاض عليه، وإن من الأهمية بمكان أن نعمل بكل جهد على الحفاظ على تماسكنا الاجتماعي لأن وجودنا واستمرارنا في الوجود كمجتمع مرهون به ومتوقف عليه وصدق الله تعالى الذي حذرنا من الصراع وما يفضي إليه فقال: (وَلَا تَنْهَا زَعْدًا فَتَنْهِشْ لُّوا وَتَنْهِ هَبَ رَيْحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأనفال / 46).

تعد الوحدة الوطنية أساس التقدّم في أي مجتمع، وقد دلّ التاريخ على أنّ صعف الأمم وانحلالها يكون السبب الرئيسي وراءه هو تفكك أبنائها وعدم وعيهم بأهمية وضرورة الوحدة الوطنية. ولا تقف حدود الوحدة الوطنية عند التفرقة، بل تمتد لتشمل معاملاتنا اليومية كافة من تعاون وتسامح، ونبذ العنف والتطرف بكل أشكاله، استجابة لما دعت إليه الأديان من التعايش الحقيقي على أُسس إنسانية، ونشر قيم المحبّة والحرّية والمساواة.. فالوحدة الوطنية تعني التآخي بين أبناء الأُمة دون تفرقة بين المواطنين على أساس اللون أو الجنس أو الدين أو العامل الاقتصادي، وإنّما الجميع متتساوون، يعملون من أجل تحقيق أهداف إيجابية لصالح الوطن. قال تعالى: (يَأَيُّهَا النَّاسُ إِذْ أَنْتُمْ خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَرَّةٍ وَأُزْنِثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَفَبَاءَتِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّمَا أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّاهِ أَرْتُقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات / 13).

وفي الختام، لا تقتصر الوحدة الوطنية على الحروب فقط، إنّما تتصدر في السلم أيضاً، من خلال تضاؤل أبناء المجتمع، وتزداد ضرورة وأهمية الوحدة الوطنية في عصرنا الحاضر، حيث يواجه هذا العصر كثيراً من التحدّيات تختلف عن التحدّيات في الماضي. فالثورة المعلوماتية، والعلوّمة، والغزو الثقافي، كلّ تلك التحدّيات تفرض علينا أن نؤهل أبناءنا لمواجهتها. ولن يتأتى هذا إلا من خلال تنمية الوحدة الوطنية والعمل على ترسيختها، ونبذ العنف والإرهاب، والعمل على بناء الإنسان وتنمية مهاراته من أجل الصمود أمام تحديات العصر.